*****

البيانو

كوميديا في خمسة مشاهد

تأليف

محمود دياب

أشخاص المسرحية

١- المعلم : ابن بلد .. تاجر خردة في حوالي الخامسة والخمسين من عمره.

٢- الفنان : شاب في حوالي الثلاثين .. هزيل الجسم شاحب الوجه تميل ملامحه للحزن.

٣- المدرسة : (سنية) شابة من أسرة متواضعة .. جميلة .. طيبة.

٤- الزوجة : زوجة المعلم ، بنت بلد .. في حوالي الخامسة والأربعين.

٥- عنتر : الابن الأكبر للمعلم .. شريك أبيه في تجارة الخردة –صورة للمعلم في شبابه.

٦- نبيل : الابن الأصغر للمعلم نفسه ... تلميذ في حوالي الثانية عشر من عمرة.

٧- الخال : (المعلم خليل) شقيق زوجة المعلم .. ابن بلد .. في عمر المعلم.

٨- الخواجة : (داود) تاجر أدوات موسيقية.

٩- الطفلة : (سعدية) ابنة المعلم ... في السابعة من عمرها.

زمن المسرحية

الوقت الحالي

المشهد الأول :

(في بيت الفنان ٠٠ حجرة خالية من الأثاث فلا يوجد بها إلا بيانو متوسط العمر والمقعد الخاص به .. وجدران الحجرة خالية أيضًا إلا بيانو متوسط العمر والمقعد الخاص به .. وجدران الحجرة خالية أيضا إلا من صورة للفنان نفسه وهي صورة زيتية من صنع رسام مبتدئ" ظاهرة القدم (الفنان يجلس على مقعد البيانو وقد أولى البيانو ظهره واتجه بوجهه ناحية الجدار حيث علقت صورته).

(الفنان مستغرق في التفكير .. بينما يقف " المعلم " معتمدا بجسده كله على البيانو، وقد ثبت عينيه على ظهر الفنان في تحد....)

(وتمر لحظات بعد فتح الستار .. والاثنان متجمدان كأنهما تمثالان من الشمع ...)

(رأس الفنان يتحرك، يرفع عينيه إلى صورته، ثم يستدير في بطء إلى البيانو .. ثم يفرغ بأسه كاملا في ضربة واحدة مفاجئة من أصابعه على مفاتيح البيانو .. فتنطلق منها صرخة مباغتة تخرج المعلم من جموده فينتفض في ذعر .. ثم تلتقي نظرات الاثنين ، الفنان في استسلام، بينما تزايدت على وجه المعلم علامات التحدي).

المعلم : برضه جزات صبري عليك ... بدل ما تشكرني تلبشني؟

الفنان : (في ألم) أنا حزين يا معلم ..

المعلم : معناته إيه الكلام ده ؟ .. البني آدم يحزن لما يموت له حد .. إنما أنت مديون لي وإيه اللي يحزنك في كده ؟... دا أنت حقك تفرح

الفنان : أفرح؟

المعلم : (في حدة) طبعًا تفرح .. لأنك عترت في أهبل زيي يصبر عليك كل ده..

(مع العبارة الأخيرة يضرب المعلم براحته ضربة قوية)

الفنان : (صارخًا) البيانو يا معلم.

المعلم : البيانو .. البيانو .. جرى إيه؟ من ساعة ما جيت لك .. وأنت ماسك لي على البيانو .. اوع البيانو ... ما تقعدش على البيانو .. ما تنامش ع ال .. إيه أنت بتخوفني بالبيانو بتاعك ده؟

الفنان : (في مرارة وهو ينهض في هدوء ....) ما تآخذنيش ... أصله غالي عندي يا معلم... ... حياتي من غيره ما تساويش .. وزي ما أنت عارف .. مافضلش ليّه غيره .. (يرفع عينيه إلى صورته ويضيف في لهجة ساخرة) هو والصورة دي ...

المعلم : (ساخرًا) كفايه ..

الفنان : رفضت أن أبيع البيانو .. واللي اشتروا العفش رفضوا ياخدوا الصوره... قلت لهم .. لازم صورتي تخش في البيعه .. كنت عايز قرشين زياده.

المعلم : مفهوم .. مفهوم

الفنان : (مع ضحكة حزينة صغيرة) دفعوا ثمنها وسابوها ..

المعلم : (يتقدم فيتأمل الصورة) عندهم حق .. ياخدوها يعملوا بيها إيه؟ دي حتى مش منظر.

الفنان : (كأنما يحدث نفسه) إنما تعرف يا معلم .. أنا باشكرهم من قلبي اللي سابوها.

المعلم : ما دام لهفت ثمنها .. ياخدوها .. واللا يسيبوها .. أنت يهمك ايه؟

الفنان : لو كانوا خدوها ... كنت حزنت عليها العمر كله.

المعلم : مش غريبه .. ما هو أنت بتحزن على أيتها حاجه ..

الفنان : (مستغرقًا من تأملاته) الصورة اللي بتحمل أجمل ذكريات في حياتي.

المعلم : (في قلق) شوف .. شوف يا أستاذ .. أنا مش جاي النهاردة علشان أسمع أشعار .. أصلي مش غاوي .. أنا جاي أحصل الفلوس اللي عليك .. وأستلم الشقه .. حلو كده ..نخش في الموضوع .. (صمت.... الفنان يتحرك في بطئ .. يتجه إلى البيانو، يقف أمامه يتأمل مفاتيحه في شرود... ثم يجري أصابعه عليها في حركة سريعة ...)

الفنان : (بعد أن تلاشى صدى النغم ... يرفع وجهه إلى المعلم) نخش في الموضوع .. اتفضل يا معلم..

المعلم : (في تأدب) لا والله .. اتفضل أنت (يهم بالجلوس على مقعد البيانو) بعد اذنك أقعد شويه .. أحسن تعبت من الوقفة .. (يجلس) ما تخافش مش هاجي يمة البيانو .. (يدير جانب للبيانو) .. اتفضل ..

الفنان : (وهو يتمشى في هدوء عاقداً ذراعيه فوق صدره، دون أن يلتفت إلى المعلم) خلاصة الموضوع .. اني ما دفعتش الإيجار ست شهور ..

المعلم : والشهر ده السابع ...

الفنان : يبقى تسعه وأربعين جنيه.

المعلم : (ساخراً) حقاني والله ...

الفنان : وكنت مسلفني ثلاثين جنيه.

المعلم : أعمل ايه؟ كنت أهبل ...

الفنان : يبقى لك عندي تسعه وسبعين ..

المعلم : يا سيدي أنا عارف اللي ليّه ... اللي أنا عايز أعرفه دلوقت .. حتدفع ولا مش ناوي؟

الفنان : (يتوقف أمام صورته .. لا يجد ما يقوله ..) والله .. يا معلم ..

المعلم : (منتفضًا) تكونش ناوي تبعلي صورتك؟

الفنان : (يستدير في هدوء)

المعلم : (وهو يقترب من الفنان مفتشًا في وجهه عن نواياه) اوع عقلك يكون دلك على كده .. تكون فاكرني أهبل بصحيح؟ .. (صمت ..)

الفنان يجلس على مقعد البيانو صامتًا .. يذهب في تأمل مفاتيح البيانو ..)

المعلم : (وهو يقترب منه في حذر) قلت ايه يا أستاذ؟

الفنان : يضرب مفتاح ال " دو .. "

المعلم : ناوي تدفع ولا مش ناوي؟

الفنان : يضرب مفتاح ال " ري .. "

المعلم : شوف أنا أكرمتك قد ايه ..

الفنان : يضرب مفتاح ال " مي .. "

المعلم : يضرب مفتاح ال " الفا .. "

المعلم : (وقد طفح به الكيل) يخرب بيتك يا حاج شعبان ..

الفنان : (يضرب مفتاح الصول)

المعلم : وقعتني ليه في المصيبه دي.

الفنان : يضرب مفتاح ال " لا .. "

المعلم : أنت اللي وصيتني عليه

الفنان : يضرب مفتاح ال " سي .. "

المعلم : يتحرك في عصبيه

الفنان : يضرب مفتاح ال " دو .. "

المعلم : (وهو يدور في الحجرة في خطوات مضطربة) الحاج شعبان هو المسئول .. جاني يقول لي دا أحسن أستاذ يسكن عندك .. خد بالك منه .. دا راجل فنان .. بيقولوا ان له مستقبل .. (يتوقف أمام الفنان) فنان آل .. أكلت وشربت أنا بالفنان .. (يتابع سيره العصبي) الفنان بعد شهرين جه يطلب مني قرض وطني .. أما أنا حتة أهبل .. كله منك يا حاج شعبان .. (يلقي نظرة استنكار إلى الصورة .. ثم يتابع سيره) إنما أنا الغلطان .. شلت وصيته على دماغي .. وعملت له حساب .. ماعلش يا حاج .. أنا المحقوق (يتوقف أمام الفنان ثانية) شوف يا أستاذ ... الصبر له حدود .. والصحوبيه اللي بيني وبين الحاج .. انقصف عمرها النهارده، هتدفع ولا مش ناوي؟ آخر كلام ..

(الفنـان ينـهض فيـدور حـول البيـانو فـي هـدوء ثـم يقـف مرتكزًا بمرفقيـه علـى جسـم البيـانو ..
المعلم ينحط على المقعد وقد تعلقت عيناه بشفتي الفنان في انتظار قراره ... صمت ...)

المعلم : (يغير لهجته محاولا كتمان ثورته) أنت يا أستاذ مش لسه قابض تمن العفش امبارح؟ .. اللى بلغني الخبر قال لي إنك قبضت امبارح .. ما تديني حقي وخلصني ..

الفنان : (في هدوء) الديانه خدت فلوسها يا معلم.

المعلم : طب وأنا؟ هو أنا مش محسوب؟ دا أنا صاحب حق يا عالم ..

الفنان : أنا كنت طمعان في كرم أخلاقك يا معلم.

المعلم : طمعان في ايه؟ لا .. دا كان زمان يا حضرة الفنان .. والله ما انا ساكت (مع العبارة الأخيرة مفاتيح البيانو براحته بغير وعي فتنبعث صرخة تجعلة يقفز على قدمية وتفزع الفنان)

الفنان :(في استعطاف) البيانو يا معلم ..

المعلم :(مغتاظًا) حقك عليا .. سامحني النوبه .. وادي راس البيانو .. (ويقبل جسم البيانو)مبسوط .. خلصني بقى اعمل معروف ...

(صمت .. الفنان يمشي في هدوء ... ويتوقف أمام صورته من جديد)

المعلم : وحياة والدك تبعد عن الصورة دي .. أنت بتخضني.

الفنان : الصورة دي قيمتها كبيرة عندي يا معلم.

المعلم : عندي ما تسواش تلاته أبيض .. يعني اوع عقلك يدلك.

الفنان : (مقاطعًا وهو يستطرد مع نفسة) ذكريات عمر .. والعمر ايه في النهاية .. غير شوية ذكريـات .. (سكته قصيرة) يـاريتني عشقت الأدب بـدل الموسيقى .. كنـت عرفت أقول اللـي عنـدي بكـلام النـاس تفهمـه .. مـش كـل النـاس بـتفهم الموسيقى .. ودي أزمتـي .. (إلـى المعلم) وأنا عندي كلام كثير يتقال .. بس أقوله ازاي ولمين .. وبأنهي طريقـه؟ خساره العمر بيمر .. وخايف ما ألحقش أوصل اللي جوايا للناس.

المعلم : ادي لكل واحد حقه .. وانت تريح النـاس .. وترتـاح

الفنان : (يمر بأصابعه على مفاتيح البيانو .. فينبعث لحن حزين يستمر لحظة) .. دي قصـة حيـاتي يـا معلـم .. لحـن طويـل أنـا مألفـه حـاطط فيـه مصـير أيـامي كلهـا .. لـو بـتفهم فـي الموسيقى .. حتشوف وانت بتسمعه .. عينـين سـوده حلـوه بتطل عليك مليانـه حنيـه .. عينـين الفنانـه اللـي رسـمت لـي الصـوره دي .. (يشـير إلـى صـورته) حتشـوف وش أمـي الطيبـة .. وتسمع صوتها وهي بتـدعي لـي بمستقبل كبير .. (يبتسـم فـي سـخرية) بتـدعي لـي بالمجـد .. حتشـوف الأيـام الصـعبة والجـوع .. والأمـل لمـا يبـرق فـي لحظـة يشـدني تـاني للـدنيا .. والبلـد

النعسانه شوارعها فاضيه بتلمع .. وأنا ماشي في الليل بادور على نفسي .. وترجع العيون السوده الحلوه .. ترجع تطل عليك .. مليانه دموع .. ورايا خطوة بخطوة.

المعلم : (منفجرا) يخرب بيتك يا حاج شعبان.

الفنان : (مازال في شروده) بس مين بيفهم موسيقى .. علشان يسمع ويفهم؟

المعلم : أنا يا أستاذ أفهم في الفلوس كويس .. انا ابن سوق .. وعمري ما صنف مخلوق أكل عليه قرش أبيض .. اسال عليه تجار الخرده يقولولك انا ايه .. يعني قصره كده .. حاعرف أخلص منك بحقي ..

الفنان : (لا يزال يعيش مع نفسه) تعرف يا معلم .. ايه اللي كان ناقصني في حياتي؟

المعلم : الذوق في المعاملة.

الفنان : ضربة حظ .. ياما ناس ضرب معاها الحظ .. صبحم فنانين .. فنانين بالصدفة(سكتة قصيرة) .. الحقيقة إن الفن في بلدنا هوه اللي ما لوهش حظ.

المعلم : (في استعطاف) يا أستاذ .. اعمل معروف .. أنا ما أفهمش في الكلام ده .. أنا اتولدت وعشت في الخرده .. كلمني في الموضوع.

الفنان : تعرف يا معلم أنا حاعمل ايه؟

المعلم : (في لهفة) حتعمل ايه؟

الفنان : حاسافر ..

المعلم : وفلوسي؟

الفنان : ليه صديق في الكويت .. بعت لي من مده حاروح له الكويت .. ويمكن أطلع من هناك على لبنان .. حاشتغل في كباريهات بيروت .. الفلوس حلوه برضه يا معلم.

المعلم : تعجبني كده .. أهو أنت دلوقت بقيت في وعيك .. نتكلم في الفلوس.

الفنان : صدقني .. ماعنديش في الموضوع ده كلام يفيدك.

المعلم : انا عندي كتير بقى .. شوف يا سيدي .. أولا:

الفنان : (مقاطعًا في تأمل) يا ريتني طلعت تاجر زيك يا معلم.

المعلم : دا يستحيل .. دا يستحيل .. هيه التجارة دي بالساهل يا بني ..دا شيء بييجي كده من ربنا ..

الفنان : موهبة .. ربنا بيوزع المواهب.

المعلم : في ثقة (ما فيش بعد التجارة حاجة .. شوف يا سيدي – أولا أنا عايز الشقة .. عايز أنقل فيها

أنا والعيال .. أصل شقة الدراسة ضاقت علينا .. وما دام اللي بيسكنوا ما بيدفعوش يبقي احنا أولى .. واللا ايه؟ (لا ينتظر إجابة) ثانيا، تشوف لك صرفه في الفلوس قبل ما تتحرك من هنا .. وبكده نطلع حبايب .. زي مادخلنا حبايب وربنا يسامح الحاج شعبان .. (لحظة صمت)

الفنان : عايز الصراحة يا معلم

المعلم : أمال أنا واجع دماغي من الصبح ليه؟ عايز الصراحة طبعا .. اتفضل .. أديني سامع أهه .. سامعك بآخر طولة بالي.

الفنان : الصراحة يا معلم مش حاقدر أدفعلك فلوس.

المعلم : (صارخا وهو يضرب البيانو بكلتا راحتيه) بتقول ايه مش هتقدر ايه؟ .. والله لاخنقك يا حاج شعبان .. (إلى الفنان) ومش هافتك .. ماهو لا ممكن اتاكل أونطة .. والا ماكنتش فلحت .. ومستعد أحكيلك مذكراتي كلها .. علشان تعرف أنا إيه .. أسأل عليا تجار الخردة في البر كله قصده كده .. مش هتفلت من ايديه .. السما أقرب لك (يسترد أنفاسه) من الصبح وأنا أخدك بالذوق .. عمال أديك وأحايل فيك .. (يضرب البيانو براحته بغير مناسبة) وأقول بعقل .. ومافيش فايدة .. (يضرب البيانو) انت فاكرني ايه؟ .. أنا أكرمتك يا أخي آخر كرم.. (يضرب البيانو) ماتبقاش كده عديم الاحساس .. عديم المفهومية ..

الفنان : كفاية يا معلم .. (صمت ..)

المعلم : (يتأمله) .. انت بتهتني يا جدع أنت؟

الفنان : مالوش لزوم الكلام ده .. أنا حاضمن لك حقك.

المعلم : انا مش عايز ضمانات .. والحاج شعبان ضامنك طلت ايه منك ... واللا منه .. أنا عايز فلوسي تتعد قدامي على داير مليم.

(صمت .. الفنان غارق في التفكير .. يرفع وجهه إلى المعلم"

الفنان : (في استسلام) اسمع يا معلم .. تفتكر البيانو ده بكام ؟

المعلم : (يلقى نظره إلى البيانو) في نظري ما يساويش حاجه .. ما بنتعاملش في الصنف.

الفنان : لو اتباع .. أقل ثمن يجيبه ٣٠٠ جنيه

المعلم : (صارخاً) ورايح تبيع الفرش .. مابعتوش ليه؟

الفنان : أبيعه؟

المعلم : ماهو ضروري من بيعه.

الفنان : بس أنا مش عايز أبيعه ...

المعلم : عجايب على دا شخص!

الفنان : (لا يهتم به .. وإنما يستقر على المقعد ويتابع العزف)

المعلم : عشان كده بيقولوا عليك فنان؟

الفنان : (يستغرقه اللحن فلا يلتفت إلى المعلم)

(المعلم يحملق في أصابع الفنان. ثم يلبث أن يجذبه اللحن " فينصت في اهتمام ثم إذ بـه ينفعل حقيقة حتى إذا ما انتهى اللحن كان واضحًا عليه التأثر والانـهيار)

(الفنان ينتهي من العزف فيقف مهدودًا .. وقد ارتسم على وجهه حزن عميق .. صمت)

المعلم : إيه دا يا أستاذ؟ أنا في حياتي ما سمعتش حاجه بالشكل ده أصلي ولا مؤاخذه مش سميع .. السوق بالع وقتي كله .. عايش غرقان في الخرده (يضحك ضحكة صغيرة) وعمري ما عرفت من الأمور دي غير الصفاره وأنا صغير (يمسك بأصابع الفنـان يتفحصـها .. فيسحبها الفنـان من يـده) صوابعك دي معمولـه مـن إيـه؟(ينظر إلـى أصـابعه هو نفسـه) لا يمكن تكـون زي صوابعنا .. (يضحك) .. أنا بصراحة وأنا باسمعك ما شفتش حاجه من اللي قلت لي عليها .. ما شفتش لا عيون سوده ولا دعا الست الوالده .. شفت حاجات غريبه قوي .. شفت زي اللـي أنـا حزنـان ما أعرفش ليه .. زي اللي مات لي عزيز .. خليتني افتكرت أبويا الله يرحمه.

الفنان : ما أوصيكش ع البيانو يا معلم.

المعلم : في عينيه يا أستاذ.

الفنان : واطّمن على فلوسك .. ما تخافش .. لأني ضروري راجع .. هي فتره وتمر .. وما حدش عارف .. جايز خلال الفترة دي يتغير الحظ .. بس خد بالك من البيانو ..

المعلم : ترجع بالسلامه .. تلاقيه زايد مش ناقص

(الفنان ينزل غطاء البيانو في حرص .. ويغطي البيانو بنظرة وداع ثم يتحرك لينصرف)

المعلم : باقول إيه يا أستاذ .. (يتوقف الفنان) ولا مؤاخذه في السؤال لغاية ما تسافر حتروح فين؟

الفنان : ليه واحد صاحبي .. ساكن لوحده في الجيزه .. هاقعد معاه (يستدير لينصرف)

المعلم : طيب بأقول يعني .. ول فيها رزاله ما تقعد معايا شويه تحكيلي ذكرياتك شوقتني .. وعايز أسمع ..

الفنان : مذكراتى ما تهمكش في حاجه يا معلم وما تهمش أى حد، السلام عليكم (يمضى نحو باب الحجرة).

المعلم : طيب مع السلامة يا أستاذ، خد بالك من نفسك.

(في اللحظة التى يكاد يختفى فيها الأستاذ تقع عينا المعلم على الصورة المعلقة)

المعلم : (مناديا) يا أستاذ يا أستاذ " الصوره (يرفع الصورة بسرعة من على الحائط) (ويظهر الفنان ثانية وهو يمد إليه الصورة) كنت حتنسى الصورة،، (يضحك ضحكة خفيفة) مذكراتك.

(الفنـان يتنـاول الصـورة فـى تبـاطؤ.. ويلقـى نظره أخيـره علـى البيـانو) (المعلـم يتـابع الفنـان ببصره إلى أن يختفى يهز رأسه في أسى، يتنهد ثم يتجه إلى البيانو فيدور حولـه منخفضًـا فـي إعجاب ينفض الغبار بأصابعه عن أحد جوانبه ثم يقف لحظـة أمامـه فيبعد يـده فـي تـردد ليرفـع

الغطـاء عن المفـاتيح.. يتأمـل أصـابع يديـه، يحركهـا أمـام عينيـه ثـم يشـعر عـن أتـم اسـتعداد للتجربة، يجلس أمام البيانو، يستجمع شجاعه يعود يتحرك أصـابعه أمـام عينيـه ويحـاول البـدء من جديد وينتهى بـه الأمر إلـى أن ينـزل بإصبع واحد علـى مفتـاح " سـى" يـدير أذنـه منصتا للصوت)

المعلم: الله يعمر بيتك ياحاج شعبان.

إظــلام

المشهد الثانى:

(نفس المنظر – الحجرة لا تزال خاليه إلا من البيانو) (عند إضاءة المشرح نجد المعلم واقفًا يحمل بين يديه بروازًا كبيرًا يضم صورة فوتوغرافية له في حجم صورة الفنان تقريبًا وهو يقف متجمد كالتمثال في حركة تحفز، عيناه مركزتان على نفس المكان الذى كانت تحتله صورة الفنان) (يسمع صوت ارتطام قطعة أثاث بأحد الأبواب خارج المسرح، تنبه المعلم فتحرك تجاه الجدار في حركة نشطة فعلق صورته في نفس المكان،، بينما يسمع صوت زوجته خارج المسرح)

صوت الزوجة : خلى بالك يا جدع انت وهو دا فرش متكلف.

المعلم : (ينفع الغبار من فوق البيانو، ثم يعتدل ليتأمل صورته في إعجاب ثم يسرع إلى الباب مناديًا) هاتوا أوده المسافرين هنا يا رجاله.

الزوجة : (قبل أن تظهر) طيب مش تاخد رأيى .. (تضخم الحجرة) انت- تتصرف في أيها حاجه .. إلا في نظام البيت .. نظام البيت دا شغلتى .. (يرفع بصرها على البيانو فتقف تتأمله في دهشة)

المعلم : ولا كلمة يا أم عنتر وإلا بشرفى أرجعك الدراسة.

الزوجة : (لا تزال تحت تأثير المفاجأة) ايه دا يا معلم ؟(تشير إلى البيانو من بعيد) إيه الداهية اللي ماليه الأوده دي؟ (يدخل عاملان يحملان كنبة فوتيل فيما بينهما)

المعلم : بس ما تلبخيش .. وتقولى داهيه .. حط يا ابنى الكنبه هناك (يحمى البيانو بجسده) حاسب انت وهوه .. خلى بالك (يضع العاملان الكنبه حيث أشار المعلم.. ويخرجان)

الزوجة : (تتحسس البيانو) طيب مش تقول ايه ده؟

المعلم : لو فضلت افهم فيكى سنة .. ولا حتفهمى.

الزوجة : ليه .. ؟ قالولك عنى عبيطه ما بافهمش.. واللا قالولك عنى عبيطه

المعلم : (في تحد) طيب ما انتيش عبيطه يا مراتى .. ده .. بيانو

الزوجة : (مدعية الفهم) هو دا " بيانو " اللى بيقولو عليه؟(تدور حوله متفحصه)ما هو كويس أهه. .. والنبى أنا ما كنت فاكراه كده .. حكمتك يارب.

المعلم : وما تبقيش عبيطه يا مراتى؟

الزوجة : (مشيرة إلى البيانو) .. انما انت إيه اللى لمك عليه ؟ اوع تكون شاريه بفلوس؟

المعلم : (منهمكًا) لا .. شاحته.

الزوجة : شاحته؟ طيب مش تشحت حاجة تنفع ؟

(يدخل أحد العمال بمقعد فوتيل.. يتبعه العامل الآخر بمقعد ثان)

المعلم : أشحت ايه يا وليه .. برضه دى حاجه تتشحت؟

الزوجة : مش انت اللى بتقول؟

المعلم : اوع يا ابنى البيانون .. فتح عينيك.. حط الكرسى دا هناك.

الزوجة : يعنى غرمان فيه فلوس؟ تسمح تقول لي ليه؟ كان لزومه ايه؟ ان ولا كتر فلوسك يعنى..
(خلال انفعالها تضرب البيانو براحتها مع العبارة الاخيرة)

المعلم : (صارخًا) البيانو يا وليه.

الزوجة : (تتنفس مذعورة) جرى ايه يا معلم؟ بتعمل ليه كده؟

المعلم : البيانو ده مش عايزه يتمس بسوء.. فاهمه.

الزوجة : (توجه إلى البيانو نظرة عدائية) دى كانت مصيبة ايه دى؟

المعلم : ولا بكلمه وحشة..

الزوجة : (مذهوله .. تمعن النظر في البيانو) حكمتك يارب . يكونش بنى آدم يا خويا..

المعلم : شوفوا جهل الوليه..

الزوجة : عايزه أفهم..

المعلم : أفهمك (في لهجة العارف) انت مش بتسمعى في الراديو " موسيكى "؟

الزوجة : ودى لزومها ايه؟ يعنى.. يا حلقة التمثيلية.. يا اقفل الراديو.

المعلم : (وقد نفذ صبره) اهون دا بقى .. من الحاجات اللى بتقفلى عليها الراديو..

الزوجة : تقوم تجيبهولى في البيت.. مسألة عند يعنى..

المعلم : انت فين يا أستاذ تيجى تفهمها؟

الزوجة : هو يعنى بيتنا ناقص عزال؟تودى فين الكراكيب اللى جايبنها من الدراسة؟

المعلم : (صارخًا) بره .. (يسمع صوت ارتطام قطعة أثاث بالخارج)

الزوجة : (منزعجه) نهار أسود

المعلم : كل الكراكيب بره .. الاوده دي .. أوده البيانو .. البيانولي

الزوجة: (مستنكره) يا حلاوه! يعنى حيشاركنا في عيشتنا؟

المعلم : عيشتكم ايه يا وليه؟ وهو انتو عايشين؟

الزوجة : البركة فيك.. انت اللى بتجرى عليا..

المعلم : تاكلوا وتشربوا وتناموا.. زى البقر.. ومش عارفه قيمة البيانو..

الزوجة : انت اللى عارف.. مش كده؟

المعلم : ماكنتش عارف.. لغاية ماعرفت..

الزوجة : وعرفت ايه يا معلم؟ طيب ما تعرفنى يا خويا..

المعلم : (فى ثقه.. يتجه إلى البيانو في حماس. يرفع غطاه ويجلس على مقعد البيانو كمن يستعد

للعزف.. يحرك أصابعه كأنما يلينها.. بينما الزوجة تتابعه في دهشة من مكانها. وتمط رقبتها لتلقى نظرة على مفاتيح البيانو .. لا يدرى المعلم ماذا يصنع بأصابعه أو بالمفاتيح .. ويبدو عاجزا عن عمل أى شيء)

المعلم : (وقد أسقط في يده) آله بقطع الخردة وسنينها.

الزوجة : (في تشف) ماعرفتش يعنى.

المعلم : (يرفع إليها وجهه مهزومًا)..

الزوجة : (متمادية)أصلى أنا نفسى أعرف.

(المعلم يطرق .. وتمر لحظة صمت..)

المعلم : (في هدوء) الناس بتحزن امتى يا أم عنتر؟

الزوجة : الشر برة وبعيد .طيب افتكر حاجه حلوه..

المعلم : انا باسالك .. بتحزن امتى؟

الزوجة : اللهم احفظنا .. أما يموت لها حد..

المعلم : أهو البيانو ده .. يحزنك . ويقطع قلبك.. من غير ما حد يموت.

الزوجة : اعوذ بالله طب واحنا ناقصين.. ما كفاية الموت اللى شغال في العيله.

المعلم : (مستطردًا) البيانو ده مليان مذكرات.. تسمعى صوته تشوفى حاجات لا يمكن تخطر لك ببال.. يخليكى تحزنى على نفسك.. انت فين يا استاذ تيجىتعرفها .. (سكتة قصيرة.. الزوجة في دهشة من حال زوجها) يا سلام يا أم عنتر على صوابع الأستاذ يستحيل تكون لحم وعظم .. تشوفيها بتجرى كده على البيانو .. تقول راكبها عفريت .. (مع الجملة الأخيرة يجري أصابعه على المفاتيح في حركة تلقائية ثقيلة .. ثم يتوقف مع نهاية الجملة يتأمل أصابعة في "سي" صوابعي تقيلة أوي يا أم عنتر.

الزوجة : (في انزعاج) معلم ..؟ أنت مالك النهاردة

المعلم : (مستطردا) لو تخلي ودنك مع الأستاذ يا مراتي .. تسمعي حاجات بيقول لك عليها –لها العجب .. عيون سودة .. وشوارع .. ودعا الست الوالدة .. وصوان ابويا يوم دفنه ،مذكرات يا مراتى.. مذكرات.

الزوجة : (متفجرة)وغلاوة عيالى الأستاذ دا نصاب وضحك عليك

(المعلم يتنفس في ثورة غير أن الابن الأكبر (عنتر) يدخل يحمل ترابيزة الصالون فيوقف دخوله ثورته فيستقر ثانية على مقعد البيانو)

عنتر : (فور ظهوره) حتحط البلوة دي فين (يفاجأ بالبيانو وبجلسة المعلم أمامه)

الزوجة : في تهكم نحطها هنا يا معلم .. ولا تخليها بره؟

عنتر : (وهو يضع الترابيزة على الأرض بينما يحدق في أبيه) ايه دا يا بابا .. أنت بتسوق ايه؟

المعلم : أنت كمان مش عارف دا أيه يا عنتر ؟

عنتر : (في غير جدية) لا وحياة النبي :: وعايز أعرف

الزوجة : (في تهكم) أنت فين يا أستاذ تيجي تعرفه

المعلم : (في هدوء) دا بيانو يا عنتر

عنتر : (في غير جدية) لا يا شيخ دي حاجة فل قوي .. ويضحك ضحكة صغيرة، ايه اللي جابه هنا؟ ودى حاجات لا توجد إلا فى البارات

الزوجة : وإيه اللى دخلك البارات يا واد؟

المعلم : (ينقل عينيه بين الزوجة والابن فى حنق)

(تدخل الطفلة سعدية وتدور حول البيانو لاهية)

عنتر : (إلى المعلم) وايه اللى مقعدك قدامه كده؟ دا الظاهر يا امه إن أبويا وراه حاجات ما تعرفهاش

المعلم : (منتفضًا) حاجات ايه ياواد؟

(الطفلة تحتل مقعد البيانو وتدور به فى فرحة)

عنتر : (متراجعًا أمام ثورة أبيه) قصدى إنك بتفهم فى المسائل دى (يشير إلى البيانو)

الزوجة : (متهكمة) أمال .. بيفهم ونص .. بس ياعينى صوابعه تقيلة

الطفلة : (وهى تدوربمقعد البيانو) يا حلاوة الكرسى بيدور

عنتر : (متطرقًا) أصل التقل صنعه (يضحك ضحكة مسرسعة)

الطفلة : ياحلاوة الكرسى بيدور

المعلم : (شراسة) ..انت بتتريق عليه ياواد

عنتر : لا وحياة النبى بس اصل منظرك فل قوى وانت بتسوق البيانو

المعلم : صارخا يا بقر (تجرى الطفلة فزعة إلى أمها)

عنتر : (مشدوهًا) الله، جرى ايه يابا

المعلم : (وهو يشمل بنظرته كل أفراد الأسرة) يا بتوع الخردة

عنتر : ايه الحكاية .. هو ناوى يبطل الخردة واللا ايه؟

الزوجة : (فى ذعر إلى عنتر) لايمها يا ابنى واسكت

المعلم : بره (تجرى الزوجة بطفلتها نحو الباب)

عنتر : (وهو يتراجع أمام ثورة أبيه) ولما يبطل الخردة حاعمل أنا إيه؟

المعلم : بره مش عايز حد يخش الأوضة دى حاقفلها حاشيل مفتاحها فى جيبى وإياك حد يعتبها والله لاكسر رجله، بره.

(الزوجة والطفلة تختفيان)

عنتر : (وهو يتسلل خارجًا) باين عليه حيقبلها بار ماتيجى نعلمك الرزع على الرق يابا.

(المعلم يبقى وحيدًا بالحجرة يدور مطرقًا فى اكتئاب يلقى نظرة تساؤل إلى البيانو يتوقف أمام صورته يتأملها)

المعلم : (إلى صورته فى عداء) ..خردة، عشت فى الخردة وحتموت فى الخردة.

(ينصرف عن الصورة يتجه نحو البيانو فى هدوء كئيب يجلس ويحدق فى المفاتيح بعينيه الفارغتين .. ثم يبذل محاولة جديدة للغرفة فلا يضرب سوى مفتاحين متباعدين ثم يضرب البيانو بكلتا راحتيه) خشب ياعالم خشب، انا حاتجنن والاستاذ يزيد عليه بإيه له عشر صوابع وليه عشرة..

(ينزل غطاء البيانو فى عنف ويريح رأسه عليه فى استسلام) .. (يدخل الابن الأصغر نبيل متلصصا كأنما يستكشف حجرة جديدة من حجرات البيت)

نبيل : (وقد فوجئ بالبيانو) .. ده بيانو فى بيتنا بيانو (ينادى) أمه عندنا بيانو.

المعلم : (وقد رفع رأسه فى دهشة يكاد يبتسم)

نبيل : آبه، انت اشتريت لنا بيانو؟

المعلم : (فيتأمل ابنه برهة)..ايه اللى عرفك ان ده بيانو يا واد؟

نبيل : عندنا زيه فى المدرسة.

المعلم : (يرفع غطاء البيانو فى لهفة) .. بتعرف تشتغل عليه يا واد؟

نبيل : لا ما باعرفش

المعلم : (وقد أصيب بخيبة أمل) أمال حطينه فى المدرسة ليه؟... بتهببه ايه بيه؟

نبيل : اصلى مش مشترك فى فريق الموسيقى.

المعلم : (فى حزم)...تشترك.

نبيل : عايزين خمسين قرش.

المعلم : انشالله جنيه...من بكره تشترك.

نبيل : (يندفع نحو الباب مهللا) أمه،

المعلم : واد يا نبيل (يتوقف نبيل فيسأله المعلم فى هدوء) ومين حيعلمك الشغل عليه يا واد؟ فيه حد مخصوص؟

نبيل : أبلة سنية هى اللى بتعلم الأولاد

المعلم : أبلة سنية (مفكرا) أبلة سنية

نبيل : انت تعرفها ياابه

المعلم : لا ما اعرفهاش

(وقد اتخذ قرارًا خطيرًا) ..ولكن من بكره لازم أعرفها

إظلام

المشهد الثالث

(نفس المنظر، لم يتغير فيه شيء سوى أن زهرية رخيصة وضعت فوق البيانو بها بعض الزهور الصناعية الملونة)

(عند إضاءة المسرح نرى المدرسة "سنية" جالسة أمام البيانو وأصابعها على مفاتيحه ووجهها معلق بوجه المعلم، الذي يقف معتمدًا بذراعيه وصدره على جسم البيانو يتابعها في استغراق، وتمر لحظات والاثنان متجمدان وكأنهما تمثالان .. صمت)

(المدرسة تضرب مفتاح الدو .. وتتوقف ..)

المعلم : (يهز رأسه في يأس) ما فيش فايده يا أبله ..

سنية : ليه بس يا معلم؟

المعلم : في حياتي .. ما فيش حاجة عصلجت معايا .. إلا وفضلت وراها لغاية ما أجيب قرارها .. إلا البيانو ده ..

سنية : نقول من تاني ... بس خلى بالك معايا

المعلم : ما أنا بالي معاكي في كل نوبه ... بشرفي معاكي ...

سنية : وكمان نوبه ... (تعزف السلم الموسيقي كاملا مع أدائه بصوتها والمعلم ينصت إليها في استماع ... فلما تنتهي تنظر في وجهه فيتولاه الارتباك..)

المعلم : (في قلق) معاكي .. معاكي والله .. بس باقول يعني .. لو تسهليها شويه ...

سنية : أزاي يا معلم؟

المعلم : قوليلي السلالم دي بالعربي ... أصلي .. كلام في سرك .. ما باعرفش أرطن.

سنية : ترطن إيه يا معلم .. دا مش رطن .. دي موسيقى.

المعلم : ما انا عارف إن دي "موسيكى " ماقلتش حاجه.. بس باقول يعني ..

سنية : (مقاطعة)يا معلم .. السلم الموسيقي واحد في كل الدنيا .. ما بيترجمش

المعلم : غريبه ... يعني الإنجليز يقولوه زينا .. وإحنا نقوله؟

سنية : (مقاطعة) بالضبط .. الموسيقى ما بتعرفش الجنسيات .. لغة واحدة لكل الناس..

المعلم : كل الناس ؟ يعني فيه أمل يا أبله ربنا ياخد بيدنا ... ونسلك؟

سنية : إنشاء الله .. مادام عندك إرادة.

المعلم : إرادة ربنا فوق كل شيء ..وهو قادر يخليني أفهم (في حماس) اعتمدي على الله .. نبتدي من أول "الدو"

سنية : نبتدي .. (تستعد للبدء)

المعلم : (مقاطعًا في تأمل) تعرفي يا أبلة ..(سنية تلتفت إليه) لو كان الناس اللي في الدنيا ... فاهمه موسيكى .. أم عنتر يستحيل تفهمها...

سنية : أم عنتر؟!

المعلم : الجماعة بتوعنا.

سنية : آه

المعلم : (مقاطعًا) دى واحده أجارك الله ، لا ممكن تهتم إلا بالحاجات الحكيره تاكل إيه؟ تشرب إيه؟ البطة عيت، الفرخة باضت.

سنية : (وهى تستعد للبدء فى العزف) يمكن ظروفها ما ساعدتهاش.

المعلم : مش طايقه البيانو فى البيت زى ما يكون ضرتها.

سنية : (تكتم ضحكتها) معلش يا معلم اتفاهم معاها بروافه.

المعلم: برواقه...بروافة مين؟طب بشرفى إن ما اتعدلت لأنا كاسر ضلوعها.

سنية : (منزعجة) وليه بس العنف يا معلم؟ مش انت اللى تعمل كده، دا انت راجل طيب وفيك روح الفنان.

المعلم : (وقد هزه الإطراء)..تلين لهجته، بس اعمل إيه يا أبله؟ انا غلبت معاها، أصل صنف أم عنتر ده ما يجيش ألا بالكسوة.

سنية : متهيألك حاول تفهمها بهدوء.

المعلم : مشيرا إلى البيانو، حاولت ماعرفتش.

سنية : حاول تانى.

المعلم : لو ربنا أخد بإيدى (يشير إلى الدرس) جايز اقدر أفهمها.

سنية : نبتدى، تضرب مفتاح "الدو".

المعلم : (مقاطعًا) انتى عارفة أنا عملت فيها إيه النهاردة قبل ماحضرتك تيجى؟

سنية : عملت ايه؟

المعلم : وزعتها على الدراسة، قلت لها مرات الحاج شعبان عيانة.

سنية : (مستنكرة فى صوت هادئ) بتكدب يا معلم؟

المعلم : (فى خجل) غلط، مش كده؟

سنية : انت شايف ايه؟

المعلم : غلط،

سنية : (تستدير إلى البيانو تضرب مفتاح الدو مع الأداء بصوتها)

المعلم : اعمل لها ايه إذا كانت كل ما ييجى معاد الحصة يركبها العصبى؟

سنية : قول ورايا، انا اقول وانت تقول ورايا.

المعلم : موافق (يركز عينيه على أصابعها ولكنه يشرد بذهنه)

سنية : تبدأ العزف مع الأداء بصوتها ، دو ، (المعلم صامت) ماقلتش ليه؟

المعلم : (يرتبك) خلاص المعلم باظ، حقك على (يضحك) أصل مخى وصل الدراسة.

سنية : نبدأ من جديد، دو.

المعلم : (يتردد كأنه يستكثر أن يغنى ينطقها مقطوعة) .. دو

سنية : مش كده يا معلم (يعيدها) .. دو

المعلم : (يكاد ينطقها سليمة)

سنية : برافو تانى (تعيدها) دو

المعلم : ينطقها سليمة تقريبًا، وانما فى صوت مرتجف

سنية : (تعزف وتؤدى بصوتها) ... رى

المعلم : باقولك ايه يا ست أبله، هو ضرورى من السلالم ديه؟

سنية : طبعا.

المعلم : أصلنا اخدنا حصتين فيها .. ودى التالته وما باتقدمش ..دماغى زى اللى بقت خردة، مقفلة وخايف لتتضايقى.

سنية : مش ممكن اتضايق يامعلم، دى عملى.

المعلم : طب ايه رأيك؟ لو اتخطينا السلالم دي وناخد الشغل على البيانو طوالى مافيش داعى نشغل مخنا بل....

سنية : (مقاطعة) مستحيل، ده ألف باء الموسيقى، ولازم نبتدى من الأساس، المهم انت ما تتضايقش

المعلم : أتضايق، ياخبر، امال جايبك ليه؟

سنية : يمكن تعبت، نستريح شوية (يبدو عليها أنها هى التى أرهقت، تترك مقعد البيانو)

المعلم أنا عمرى ما حارتاح إلالما أعرف حكاية ده (يشير إلى البيانو) أصل أنا عندى يا أبله لو دماغى تربست فى حاجة يالله السلامة لا ممكن تكن ولا تهدى.

سنية : (مقاطعة وهى تجلس فى أحد الفوتيهات): انما ايه اللى طلع فى مخك الحكاية دى يامعلم؟

المعلم : ماخبيش عليكى انا ساعة ما كنت مع الأستاذ هنا فى الأودة دى،قصدت أسأل نفسى الراجل ده بيحب البيانو ليه بالشكل ده؟ جعان عايز يبيعه ليه؟ كان بيروح وييجى باقول فيه كلام قطع قلبى من غير ما افهم حاجة، شفت صوابعه وهى بتسوى الهوايل على البيانو وسمعت العجب اللى بيطلع منه اتقلب كيانى، قلت لنفسى واد يا معلم الدنيا فيها حاجات غير الخرده متعرفعاش يا واد يا معلم لا بد من كل بد تعرف سر الموضوع ده، خسارة الاستاذ فاتنى ومشى ومادانيش فرصه استفهم منه، فاتنى على نارى.

سنية : (تضحك ضحكة خفيفة)

المعلم : يا سلام يا أبله لو تشوفي الأستاذ بيعمل إيه بصوابعه، يحكي لك مذكرات حياته كلها بصوابعه والوليه العبيطه أم عنتر .. مش فاهمه .. طب أفهمها إزاي؟

سنية : (ضاحكة) الحقيقة يا معلم .. الست أم عنتر عندها حق ..

المعلم : أنت اللي بتقولي الكلام ده ؟ أمال الواد عنتر يقول إيه؟

سنية : بيني وبينك .. المسألة غريبة شوية ..

المعلم : ما غريب إلا الشيطان .. ايه الغريب في المسأله؟ هو أنا مش زى الأستاذ .. لولاش أبويا زرعني في الخردة ؟

سنية : (تضحك ضحكة خفيفة)

المعلم : جري إيه يا ست أبله .. ما تخليكي معايا أمال

سنية : أنا معاك والله .. (تكتم ضحكتها)

المعلم : (يتأملها برهة) قولي لي بصراحة .. أنت شايفه .. إن مافيش أمل ولا إيه ؟

سنية : (في جدية) مين قال كدة ؟ بالعكس .. دا حبك أنت للبيانو .. اداني أنا نفسي الأمل (صمت ..)

المعلم : (في أسى) أكبر غلطة عملتها .. إني زرعت الواد عنتر في الخردة.

سنية : كل واحد بياخد نصيبه يا معلم .. تعال نرجع للدرس (تعود إلى البيانو)

المعلم : (وهو يتابعها) باقول ايه يا أبلة .. ما نأجل الدرس شوية.. وتسمعينا شوية من مذكراتك ..

سنية : مذكراتي؟ .. آه .. بس أنا ماليش مذكرات.

المعلم : ودي معقوله دي؟

سنية : أصلي ما بألفش موسيقى .. أنا بأدرسها بس .. ما جربتش التأليف..

المعلم : ليه ؟ انت مش زي الأستاذ ؟

سنية : أنا ما اعرفش الأستاذ .. لكن من كلامك عنه .. قدرت أعرف إنه إنسان موهوب ..

المعلم : هوا موهوب بعقل .. ولحظي .. أنا في حياتي ما شفتش واحد بالشكل ده
(في شرود) يا ترى أنت فين دلوقت يا أستاذ؟
(لحظة صمت)

سنية : (تضرب مفتاح الدو) دو ...

المعلم : (يرتبك ثم يقلدها) دو ...

سنية : (تضرب مفتاح الري) رى ..

المعلم : (ينطقها مبتورة) رى

سنية : لا يا معلم .. مش كده .. من تاني ... "رى"

المعلم : (يكاد ينطقها بطريقة أفضل).

سنية : كده أحسن .. تاني .. رى ..

المعلم : (ينطقها ممطوطة بصوت أجش) رى....

(في لحظة انطلاق صوت المعلم، تظهر رأس الزوجة من وراء الباب في تلصص.. تذهلها المفاجأة).

الزوجة : (تقتحم الحجرة) صارخة .. نهار أسود ..

(يفاجأ المعلم بالصرخة .. يصاب بالارتباك .. بينما تتجمد المدرسة .. المعلم يقفز ليقف حائلا بين الزوجة والمدرسة)

الزوجة : سلامتك يا أبو عنتر ....

المعلم : فيه إيه يا وليه؟

الزوجة : جرى لعقلك إيه يا أبو عيالي؟

المعلم : (يلقي إلى المدرسة نظرة اعتذار) .. يا وليه اعقلي .. دا أنا باغني ..

الزوجة : بتغني ؟ (تصرخ) يالهوتي ..

المعلم : (إلى المدرسة) ولا مؤخذة يا ست .. (إلى الزوجة) وفيها إيه لما أغني .. كفرت؟

الزوجة : يقطع البيانو .. ويوم ما شفناه .

المعلم : يا وليه باتعلم "الموسيكي"

الزوجة : كله من الأستاذ النصاب .. ضحك عليك ..

المعلم : (إلى المدرسة) بتقولي لي أتفاهم معاها برواقة ... عاجبك كده؟

الزوجة : معلم فيك إيه؟ إيه يا سيد الرجالة ؟

المعلم : والله لأنا مكسر ضلوعها ..

سنية : (تمسك بذراعه تمنعه) اصبر يا معلم ... دلوقت تهدا.

الزوجة : (إلى سنية) وإيه اللي حيهديني يا روحي؟ الأستاذ مشي، طلعتي لنا أنتي.

المعلم : أم عنتر .. اتلمي أحسن لك .. (سنية لا تزال تمسك بذراعه) (إلى سنية) برواقة ؟دا صنف بتاع رواقة ده؟ سيبيني يا أبله ..

الزوجة : (إلى سنية) عملتم إيه في الراجل؟

سنية : (تلتقط حقيبتها) بعد إذنك يا معلم .. أنا ماشية ..

الزوجة : (مصدومة) بقى كده يا أبو عنتر، دي أخرتها .. طيب يا معلم .. أنا ماشية والله ما أنا راجعالك تاني .. خليه ينفعك .. (تشير إلى البيانو) خليه ينفعك .. (تخرج باكية)

(صمت ، المدرسة تقف في حيرة لا تدري ما تفعل)

المعلم : (مطرق .. يتحاشى النظر إلى المدرسة .. يسير في خطوات مضطربة في الحجرة .. ثم يوجه

صرختته في أثر زوجته) خردة ...

سنية : أنت غلطان يا معلم ...

المعلم : (يتأملها) ودا رأيك يا ست؟

سنية : كنت قاسى عليها.

المعلم : أنا قلت لك ما صدقتنيش .. دا صنف ما يجيش إلا بالكسوة.

سنية : أبدا .. دي محتاجه لكلمه حلوه منك ..

المعلم : وأنا مش محتاج لكلمة حلوه ؟ خليني أهبل وراكبني عفريت البيانو .. تقوم تعمل كده ؟ طب تخليها هي العاقلة .. وتاخدني على قد عقلي..

سنية : حصلها قبل ما تنزل ..

المعلم : لا ممكن والله ... ماهو مستحيل أتنازل عن البيانو مهما حصل .. دي أمانه .. ثم إني لازم أتعلم عليه ... هو أحنا إيه .. مش بشر.. (صمت)

سنية : (في حيرة) الحقيقة يا معلم .. أنا مش عارفه أعمل إيه .. الموقف أصبح صعب بالنسبة لي .. احتياجي للدرس ده .. ما يقلش عن احتياجك له .. ويمكن احتياجي له أكثر .. لكن مش عارفه أعمل إيه؟

المعلم : (يستدير عنها في اكتئاب .. ويمضي مطرقًا بينما تتبعه ببصرها في إشفاق .. يلقي نظرة إلى صورته .. ثم يحول وجهه إلى البيانو.. فيلبث لحظة محدقًا في مفاتيحه .. ثم يضرب مفتاح "الرى" مؤديًا بصوته في حزن (دو ..)

سنية : غلط يا معلم .. غلط..

إظلام

المشهد الرابع :

(نفس المنظر .. لم يزد عليه سوى كرسي خيزران .. وضع إلى جانب كرسي البيانو .. المعلم يجلس أمام البيانو .. في إحساس بالسعادة .. بينما تقف المدرسة إلى جانبه تعطي تعليماتها)

سنية : افرد ظهرك يا معلم ..

(المعلم يضرب صدره للأمام) مش قوي كده .. (المعلم يريح ظهره قليلا) كمان شويه .. (يعود إلى وضعة الأول) .. مش معقول أبدا ... (ينزعج المعلم لتنبيهها فيضرب صدره للأمام) مش مهم ... نعمل تمرينات تليين الصوابع .. اتفضل .. افرد صوابعك واتنيها .. (المعلم يقوم بعمل التمرينات) ما تشدش صوابعك كده .. ارخيها .. خليها على راحتها ..

المعلم : (يتوقف) الحكاية بتتعقد يوم عن يوم يا أبلة ..

سنية : إيه اللي عقدها يا معلم .. دا حتى القواعد الأساسية سبناها .. ماعملناش فيها حاجه .. ودا الغلط..

المعلم : كواعد إيه .. مش حكاية الدايرة .. والكلوش دي ..

سنية : (قد نفذ صبرها) الكروش يا معلم .. الكروش ..

المعلم : يا شيخه .. صلي ع اللي يشفع لك .. خلينا في الجد .. (يشير بأصابعه إلى مفاتيح البيانو)

سنية : (تجلس على المقعد الخيزران) شوف يا معلم، كل ما كانت الصوابع لينه وحركتها بسيطه، كل ما كانت أسرع ..

المعلم : عايزه خفيه يعني ..

سنية : بالضبط .. خد بالك .. (تعزف السلم الموسيقي) فرجني أنت بقى ...

المعلم : (يشمر أكمامه، ويستعد) توكلنا على الله .. (يبدأ بحماس ولكنه لا يلبث أن يتوقف بعد الرى).

سنية : انت شادد أعصابك خالص .. مستحيل .. انت مابتعرفش تعوم يا معلم؟

المعلم : وايه الفكرة دي يا أبله؟ لا ما باعرفش،أصلي قضيت عمري في الدراسة، ودي مش ع البحر..

سنية : المهم انك تتعلم ازاي ترخي أعصابك .. خد بالك معايا (تعزف من جديد)

(يدخل عنتر فجأة .. يقف يتأمل الاثنين برهة)

عنتر : (متهكمًا) بالصلاة النبي ..

(المعلم والمدرسة يتوقفان عن العمل .. يحدقان في عنتر)

عنتر : آخر فل وحياة النبي ..

المعلم : (صارخاً) عايز إيه يا واد؟

عنتر : و لا حاجه ..جيت أتطمن على مستقبل الفن.

سنية : (تشيح بوجهها في حركة عصبية)

المعلم : طب غور من هنا .. خد بعضك واطلع ع المخزن ..

عنتر : مخزن إيه بقى؟ما كل سنة وانت طيب .. احنا مش حنفتح بار ...

المعلم : (في شراسة) أنت يا واد بتكلمني إزاي .. (عنتر يتراجع مقتضبًا غضبة)

سنية : (تمسك بذراعه) برواقه يا معلم ..

المعلم : (ضاغطًا على نفسه) أنت بتكلمني إزاي يا عنتر ..

عنتر : (يجيبه بابتسامة باردة .. يهرش قفاه .. ويلتفت إلى ما وراء الباب)

اتفضل يا خالي (يفاجأ المعلم ، يلقي نظرة قلقة إلى المدرسة) دا الجو هنا آخر ظرف ما تيجي يا خال.

(يدخل الخال .. يمشي في اعتداد .. يقذف المدرسة بنظرة وابتسامة وقتيين ..)

الخال : السلام عليكم ..

المعلم : في عدم ارتياح لهذه الزيارة وعليكم السلام .. (يتصافحان)

الخال : وازاي الحال يا معلم .. (يتأمل البيانو)

المعلم : الحمد لله .. رضا ..

عنتر : (محدقًا في المدرسة) منتهى الرضا .. (المدرسة تشيح بوجهها فيضحك عنتر)..

الخال : (يلقي نظرة إلى الصورة) مبسوط؟

المعلم : آخر انبساط.

الخال : (يحول بصره عن الصورة إلى سنية ... ثم البيانو) الحمد لله .. بس حبيت أتطمن

المعلم : لا .. اتطمن..

الخال : (وهو يتجه إلى البيانو مستكشفًا) الحاج شعبان بيسلم عليك..

(يتحسس البيانو كأنما ليتعرف على نوع الخشب، ينقر عليه بأصابعه ثم يتكلم في تهكم) والله حاجة أخر وجاهه .. خشب معتبر .. مالهاش حق أم عنتر .. (إلى عنتر) أمك غلطانه يا واد يا عنتر .. (عنتر يضحك) حد طايل حاجه زي دي ..

عنتر : أمال لما تشوف أبويا وهو بيغني عليه .. منتهى الطرب ..

المعلم : (صارخًا) اطلع بره يا واد ....

عنتر : أنا قاعد مع خالي .. مش أنت عايزني يا خال ..

الخال : ما تسيبه يا معلم .. كلها دقيقتين ونمشي .. (إلى المدرسة) وازي الحال يا أبله؟ (عنتر يكتم ضحكته)..

سنية : (في لهجة جافة) كويسه ..

الخال : (إلى عنتر) هي دي نكتة .. (يصطنع عنتر ضحكة مسرسعة)

المعلم : (في ضيق) تعال نقعد بره نتكلم .. يا معلم خليل.

الخال : ما هنا كويس .. (إلى المدرسة) اذا ماكناش نضايق الست .. كلها دقيقتين ونمشي ..

سنية : (في لهجتها شيء في التحدي) خذوا راحتكم .. (تنتفض واقفة)

المعلم : (منزعجًا) أنت ماشيه واللا إيه؟

الخال : (منهكمًا) ما بدري يا أبلة .. واللا يعني إذا حضرت الشياطين ...

سنية : (مقاطعة في عناد) أنا مش ماشية يا معلم .. الحصة لسه فاضل عليها كتير ..
(تجلس في أحد الفوتيلات)..

المعلم : (مؤكدًا كلام المدرسة) احنا يدوبك .. كنا لسه بنتعلم نقعد صح ..

الخال : (في برود) الكلام ده ايه .. لهو انت مابتعرفش تقعد يا معلم .. (يلتفت إلى عنتر) واد يا عنتر ..

عنتر : (يقاوم رغبته في الضحك) أيوه يا خالي ..

الخال : (إلى المدرسة) .. القعاد ده كمان شغلانه ،عايز حصة؟
(إلي عنتر) ما تعمل لنا شاي يا واد ..

عنتر : حاضر يا خال ..

الخال : تعرف تعمله حلو زي أمك؟

عنتر : أهو شاي رجالي بقى .. استحمل .. (إلى المدرسة) أعمل لك شاي يا أبله ..... ولا أجيبلك كازوزة؟

سنية : (في لهجة جافة) متشكره ..

عنتر : أعمل لك كركريه ؟

المعلم : (منفجرًا) ما قالت لك متشكره يا تلم ...

عنتر : (ينسحب على الفور) الحق علينا .. عايزين نكرم الفن (يخرج)
(صمت ..)

المعلم : (يلقى إلى المدرسة نظرة اعتذار وينحط على الكنبة)

الخال : (يتنهد) نهاية.. (يدور حول البيانو منخفضًا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة خفيفة ثم يقف مستندا بظهره على جسم البيانو.. فتبدر من المعلم حركه خوف على البيانو)

الخال : هم.. وعايش إزاى يا معلم .. بتاكل ازاى وبتشرب ازاى؟

المعلم : (يكتم غيظه) أى لقمة بتكفى يا معلم خليل.

الخال : بس انت طول عمرك تحب اللقمه الحلوه. (إلى المدرسة) أصل المعلم دا راجل أكيل..

المعلم : طول السنين بناكل.. بطونا وجعتنا .. واجب ندور على حاجه غيرها..

الخال : (يوجه نظرة وقحة إلى المدرسة) حاجه حلوه يعنى؟

المعلم : (يكاد يفقد أعصابه) حاجة البقر مايفهمش فيها..
(صمت .. الخال يجلس على مقعد البيانو..)

الخال : (يتحسس مفاتيح البيانو برهة ثم يلتفت إلى المعلم) المثل بيقول يابخت من عرف قدر نفسه..

المعلم : اهو انا اليومين دول باعمل بالمثل ده .. ظبط ...

الخال : بتعمل خواجه يعنى؟

المعلم : باعمل بنى ادم ..

(صمت...)

الخال : فاكر الشيخ حمام لما اتدروش.. ومسك طبلة فاكر حكايته؟

المعلم : فاكرها كويس .. زمان ماكنتش فاهم عمل كده ليه.. كنت باقول الراجل – يا عينى – مخه طق .. النهاردة فهمت الحكاية على أصولها.

الخال : تقصد انه ما اتجنش؟

المعلم : لا ما اتجنش .. ماكانتش عاجباه أحوال الناس .. قعد يطبل لهم علشان يفوقهم.

الخال : وانت مسكت لهم بيانو..

المعلم : ياريتنى أعرف أقول حاجه ع البيانو .. بالقليلة أفوق أنا شخصيًا .. أدينى بأهابر .. والست بتقول إن فيه أمل..

الخال : (ساخرًا إلى المدرسة) صحيح يا ست فيه أمل؟

سنيه : (في عناد) مافيش شيء مستحيل..

المعلم : (في زهو..) شفت يا معلم خليل..

الخال : (في جدية كاملة) انا فايت الدكانة وجاى أقول لك كلمتين.. أرضي بيهم ربنا..

المعلم : نخليهم تلات كلمات..

الخال : (يلقى نظره إلى صورة المعلم) الناس ابتدت تضحك عليك.. وتقول نكت..

المعلم : (وقد استثير) مين هما دول؟

الخال : اللى بيحبوك .. واللى بيكرهوك. (مشيرا إلى البيانو.. وملتفتا إلى المدرسة) بيقولوا الراجل ياعينى مخه طق..

المعلم : (صارخًا) بقر .. (صمت..)

الخال : مابلغكش إن بنتك سعدية راحت للدكتور؟ (المعلم ينزعج) سعدية؟ فاكرها؟ بنتك الصغيرة؟

المعلم : مابلغنيش ..

الخال : ادينى بأبلغك..

المعلم : (في لهفة) عيانه بإيه؟

الخال : وانا إيش عرفنى .. (سكتة قصيرة.. ثم يحتد فجاة). بصراحة يا معلم طردك لأم عنتر من البيت.. (يقذف المدرسة بنظرة سمجه) علشان يخلالك الجو.. (المدرسة تقف محتدة)

المعلم : في (حنق) طب خلى الكلام بينى وبينك ما تتطورش.

سنية : (في دفاع عن نفسها) هو ما طردهاش .. أنا كنت موجودة..

الخال : الله .. جرى إيه يا أبلة؟حد سألها؟ ثم إنى عارف إنك كنتِ موجوده.. (المدرسة تنهار في المقعد وتدفن وجهها بين راحتيها)

المعلم : (في عنف) تعال معايا يا معلم خليل .. نكمل الكلام في الفسحه ..

الخال : أنا اللي عندي قلته .. حبيت أفهمك انك لزوما تشوف لك حل.

المعلم : نتفاهم بره (يجذبه من ذراعه في اتجاه الباب)

الخال : (إلى المدرسة التي لا تلتفت إليه) ولا مؤاخذه يا أبله، أصل الست أم عنتر دى تبقى أختى .. شقيقتي يعنى.. (يسير الخال مع المعلم.. يواجههما عنتر يحمل صينية عليها كوب شاى)

عنتر : إيه يا خالي .. انت ماشى ولا ايه؟ وانا كنت حاولع في البيت علشان اسقيك شاى..

الخال : (يسحب كوب الشاى من فوق الصينية وهو خارج) وانا مش هاكسفك . بس على الله يطلع حلو زى شاى الوالدة.. (يخرج المعلم والخال بيده.. ويتخلف عنتر عامدًا وعليه الاضطراب وهو يعد نفسه للدخول في مناوشة غرامية مع المدرسة التى لا تزال على أطرافها).

عنتر : (يضح الصينية فوق البيانو .. ويلقى نظرة قلقه إلى الباب ثم يتقدم من المدرسة وهو يفرك راحتيه) مالك يا أبله؟ سلامتك..

سنية : (توقع وجهها إليه في حركة مفاجئة غاضبة .. فترتد خطوة للوراء)..

عنتر : بس ما فيناش الشتيمه..

سنية : عايز إيه يا جدع انت؟

عنتر : عايز يحصل لي شرف المعرفه ..

سنية : أنت مش طبيعى..

عنتر : أنا عنتر .. ابن المعلم .. تلميذك.. كان إيه اللى وقعنى الوقعه دى؟ (يظهر وجه الابن الأصغر " نبيل " من وراء الباب..)

عنتر : دانا أصغر منه بكثير .. بينى وبينه .. قولى كده .. بتاع ..

نبيل : (مناديًا دون أن يظهر منه سوى وجهه) إزيك يا أبله.. (المدرسة تلتفت إليه في لهفة كأنما تود لو تستنجد به)

عنتر : (صارخًا في نبيل) يالا يا واد " روح العب "

نبيل : (إيه .. دى أبلتى .. عنتر: (مهددا) يا واد امشى..

نبيل : (يخرج له لسانه .. ويختفى)

سنية : (متفادية) .. نبيل ..

عنتر : الله .. وعايزه إيه من نبيل .. دا لسه صغير .. أصغر منى بكتير..

سنية : (تنهض في حدة .. وتهم بالخروج في اندفاع)..

عنتر : (معترضًا طريقها) واد اسمع كلام .. مش نتفاهم ..

سنية : (متنمرة) ابعد عنى أحسن لك..

عنتر : أنت شايله مطوة ولا إيه؟ (يضحك)..

سنية : فهمني .. انت عايز إيه؟

عنتر : ولا حاجه وحياة النبى .. اوعى تكونى .. لا سمح الله .. فهمتينى غلط .. (يلقى نظرة مستطلعة إلى الباب) .. اصلى انا ملاحظ انك مستحقرانى حبتين .. مع انى راجل كسيب .. تلاتة بالله العظيم .. اللى يخش في جيبى قد اللى بياخدوا مأمور القسم تلت مرات.

سنية : (يا آخى وأنا مالي .. أرجوك . خلينى أمشى..)

عنتر : تمشى تروحي فين .. مش لما تخلص الحصة .. اصلك مش عارفه .. كلام في سرك .. لعبة البيانو دي .. جت مصلحة من مجامعيه، خلت قدم حلو بيخطى عتبتنا .. (يشير إليها) وخلت قدمي أنا يسلك في السوق ومش فاهمه حاجة طبعا .. افهمك .. (تتعلق عينا المدرسة بالباب في استنجاد .. فيلتفت عنتر وراءه فيرى المعلم واقفًا يتأمله في غضب)

عنتر : (متراجعًا أمام نظرات أبيه) بافهمها السوق .. دى ماعندهاش فكره خالص عن السوق .. (يفتعل ضحكة صغيرة ويلتقط الصينية) دى الظاهر ماتعرفش من الدنيا غير البيانو .. (يتسلل خارجًا)..

سنية : (في تصميم) أنا عايزه أقول لك حاجة يا معلم..

المعلم : الواد ده ضايقك بحاجه؟

سنية : دي آخر مرة أدخل فيها البيت ده..

المعلم : (مصدومًا) بتتكلمى جد يا أبله ..

سنية : أرجوك .. ما تقوليش يا أبله..

المعلم : (في حزن) بايعه، مش كده؟

سنية : أنا اتهنت كتير .. واستحملت ما فيه الكفايه .. وماعدتش قادره..

المعلم : (في محاولة للتخفيف من حدة الموقف) معلهش يا أبله.. حقك عليّه.. الفنان لازم يستحمل..

سنية : أنا مش فنانه يا معلم .. أنا مدرسه ..

المعلم : (مداعبًا) إذا كنتي أنت مش فنانه .. أمال انا أبقى إيه؟

سنية : انت إنسان .. بتدور على إنسانيتك .. ودى مش محتاجة لمدرس ..

المعلم : والبيانو..؟

سنية : ولا محتاجه للبيانو ..

المعلم : أنا كنت فاهم إنك حتقفى جنبى للنهاية.. ورفضت شروط المعلم خليل..

سنية : أنت لازم تعرف يا معلم .. إن اللى كان رابطنى بيك .. حبك غير الطبيعى للبيانو .. والعيله اللى

باصرف عليها .. وكنت بأحاول أساعدك .. إنما الموقف لازم ينتهى بأى حال..

المعلم : ينتهي ازاى يا ست سنيه.. انت قلتيلى إن فيه أمل .. إيه اللى حصل ..

سنية : الظروف أقوى منك ومنى يا معلم.. أرجوك ابقى ابعت لى حساب الشهر مع نبيل .. إذا كنت شايف إنى أستحقه .. تصبح على خير.. (تخرج مندفعة .. وتترك المعلم يقف متجمدًا يحدق في أثرها .. مذهولا)

المعلم : (يفيق فجِأة) أبله سنية .. استنى يا أبله (يخرج مهرولا .. ويسمع صوته) كلمة واحدة يا أبله .. استني يا أبله.. (ثم يخيم الصمت .. الحجرة خالية .. ينسحب الضوء عنها بالتدريج)

إظـــلام

المشهد الخامس:

(نفس المنظر .. لم يتغير فيه شىءسوى أن الكرسى الخيزران اختفى كما اختفت الزهرية من فوق البيانو وظهرت على الترابيزة)

(عند إضاءة المسرح نجد المعلم واقفًا أمام صورته .. مطرقًا في تفكير عميق..)

المعلم : (يتحرك حركة خفيفة .. يرفع وجهه إلى الصورة .. يشهد تنهيدة عميقة) هيه .. مذكرات (يستدير في بطء إلى البيانو .. يرفع غطاءه .. يتأمل المفاتيح برهة .. ثم يبدأ العزف بإصبع واحد في حركة بطيئة .. فيضرب المفاتيح واحدًا بعد الآخر مؤديًا بصوته..) دو ... رى ...مى ... ريه .. (يتوقف، محاولا تذكر ما تلقاه من دروس .. يضرب من جديد).. دو .. ر .. (يتوقف نهائيًا في يأس .. وينزل غطاء البيانو في هدوء .. ثم يجلس على مقعد البيانو)

هيه .. والله وحشنا الأستاذ .. وحشتنا الأبله .. (يبتسم في شرود) وحشتنى عنيها الحلوة .. وكلامها اللى بينقط عسل .. (يتنهد) يا ترى أنت فين يا أستاذ؟ (صمت..)

(تدخل الزوجة وبيدها خرقة للتنفيض)...

الزوجة : أغرف لك يا معلم تتغدى؟

المعلم : (بعد لحظة صمت) أنا حزين يا أم عنتر..

الزوجة : كفا الله الشر .. ليه يا أخويا؟

المعلم : (في هدوء كئيب) لو فضلت أفهم فيكي سنة من النهاردة .. ولا حتفهمى ..

الزوجة : (تزوم .. وتتشاغل بتنفيض الكنبة.. ومقاعد الفوتيل) طول ما انت قافل الأوده دي .. مش عارفين ننضفها..

المعلم : (في شرود) وتنضفيها ليه .. مش محتاجه .. طبخالنا ايه النهاردة؟

الزوجة: (وهى تتابع التنفيض) دبحالك بطة..

المعلم : (في غير اهتمام) بطه؟

الزوجة : البطة اللي كنت بازغطها للموسم .. الظاهر زاد عليها العيار .. فرفرت .. لحقتها بالسكينة..

المعلم : مالهاش نصيب تعيش للموسم..

الزوجة : ما تقوم تغيّر هدومك..

المعلم : (متنهدا) حاضر .. (يظل على إطراقه)..

الزوجة : (وهى تستعد للخروج) أروح أغرف لك؟

المعلم : (في هدوئه الكئيب) ما نضفتيش البيانو ليه يا أم عنتر؟ ما تنفضيه ينوبك فيه ثواب..

الزوجة : مش بتقول انه حيتباع النهارده؟ هو يعنى لازم يتباع بعفاره؟ (تتزايد ثورته) الراجل يا ستي ما اتّفقش معايا ع العقار .. مش حيدفع تمنه..

الزوجة : طيب ... حاضر .. (تبدأ في تنفيض البيانو في حركة سريعة متحاشية ثورة المعلم)

المعلم : (وقد فقد السيطرة على غضبه) هوا يعنى إن ما كنتش اعمل زيطه وزمبليطه الحاجة ما تتعملش؟

الزوجة : (مهتمة أكثر بالتنفيض) ما خلاص يا معلم .. مانا بانفضه أهه.

المعلم : (متماديًا) عايزانى أبوس على رجلك يعنى؟أسوق عليكى العالم كله علشان تنفضى البيانو؟

الزوجة : ما أنا هاودتك على طول يا معلم..

المعلم : يعنى إيه هاودتينى .. بتاخدينى على قد عقلى .. مجنون أنا؟ ما تودونى الموريستان .. هاتيلى اخوكى يودينى الموريستان..

الزوجة : جرى إيه يا معلم .. ايه لزومه دا كله؟

المعلم : وبتبجحى فيه كمان؟ .. دى بتبجح فيه .. ايه الحكايه؟ ما تفهمونا يا عالم .. البيانو وحنبيعه .. نقوم حتى ما ننفضوش .. ودى حاجه تتباع دى؟ وتتباع بعفارها كمان! يقول علينا ايه الراجل اللي حيشتريه؟ قللات الذوق ما بنفهمش .. و اللا الأستاذ صاحبه لما يرجع ويسألنى عليه .. أقول له إيه؟ اقابله بانهى وش؟

الزوجة : (وقد توقفت عن التنفيض) ما هو اللى اتأخر عشر شهور.. وحد كان قال له اتاخر؟

المعلم : وأنت مالك؟ تحشرى نفسك ليه؟ الغايب حجته معاه .. (في انشغال حقيقي) حد عارف هوا فين؟ حد عارف هو لاقى ياكلواللا مش لاقى؟ ورايحه تدبحيلى بطه..

الزوجة : (يرتفع صوتها) هو إحنا حنشيل همنا وهم الناس يا معلم؟

المعلم : وأنتِ مالك؟تحشرى نفسك ليه؟وما نشليش هم الناس ليه؟ احنا حننقطع عن الناس؟ حنعيش لوحدنا، حنقفل علىنفسنا باب؟ (صارخا فجأة) يا وليه نفضى البيانو..

الزوجة : (مروعة) ما أنا نفضته ياختى .. انت بتعمل كده ليه؟يقطع البيانو وسنينه.

المعلم : نهار اسود .. دى بتقول يقطع البيانو .. أحلف ما ابيعه؟ تلاتة بالله العظيم أحلف ما أبيعه..

الزوجة : (تنفض البيانو في عصبية)

المعلم : يا وليه حاسبي ع البيانو (الزوجة يتزايد اضطرابها وعنفها) إيه العالم دى؟ (يدخل الابن الأصغر نبيل)

نبيل : آبا .. فيه واحد خواجه اسمه داود عايزك ..

المعلم : لحق ييجى ؟ .. ماله عامل زى القضا كده؟ أعوذ بالله..

نبيل : بيقول إنه جاى ياخد البيانو..

المعلم : علشان أمك تفرح .. (الزوجة يظهر عليها الارتياح بالفعل)..

نبيل : وحنبيعه ليه يابا؟

المعلم : اسأل أمك...

الزوجة : (يلتفت إليها نبيل ليسألها، مقاطعة على الفور) والنبى تسيب أمك في حالها..

المعلم : روح يا واد هاته جرى على هنا..

نبيل : (يخرج مبرطمًا) .. إيه هوا ده .. نبيعوه ليه؟ (المعلم يسير مطرقًا في ضيق، الزوجة ترمق البيانو في تشف ثم تنسحب نحو الباب غير أن صوت زوجها يفاجئها).

المعلم : طيب والأستاذ لما يرجع .. حيشتغل على إيه؟ حيعيش إزاى؟ (يسير إلى البيانو) دا من غيره ما يساويش..

الزوجة: مش إحنا أحق بالفلوس يا معلم، بدل ما هو قاعد كده زى الرزية؟

المعلم : فلوس؟ يعنى بقى أحلف ما أبيعه؟

الزوجة : أنا مش متكلمه ولا فاتحه بقى..

المعلم : بشرفى أحلف ما أبيعه.. (صوت)

نبيل : اتفضل يا خواجه، خش .. (يبدو على الزوجة الارتياح بدخول الخواجة، وعيناه متعلقتان بالبيانو..يبتعد نبيل مهمومًا..)

الخواجة: سعيده يا معلم..

المعلم : (في ضيق) مرحب ..

الزوجة : (وهى تستعد للانصراف) .... أعمل شاي يا معلم؟

المعلم : (يوجه إليها نظرة قاسية.. فتستدير وتغادر الحجرة)

الخواجة: هوا دا البيانو .. صح؟

المعلم : صح .. (نبيل يجلس في أحد الفوتيلات يرقب الموقف في حزن .. الخواجه يدور حول البيانو متفحصًا بعينى خبير، بينما يقف المعلم يتبعه ببصره في غيظ)

الخواجة: آه .. هم .. يعنى .. (يمر بأصابعه على المفاتيح)..

المعلم : (في عصبية) ما تخلصنا يا خواجه.

الخواجة: أنا حادفع فلوس يا حبيبى .. صح؟

المعلم : صح .. طبعا ..

الخواجة: يبقى لازم أدرسه كويس. (يرفع الغطاء عن الأوتار)

المعلم : (في فزع) انت بتعمل إيه؟

الخواجة: (يلقى نظرة طويلة إلى المعلم) أنت جايبنى علشان أشتريه؟

المعلم : (مقاطعًا) صح..

الخواجة: يبقى تسبينى أشتريه .. (ينهمك في الفحص)

المعلم : (محدثًا نفسه) .. علشان يعجب أم عنتر ..

الخواجة: نعم .. حضرتك بتقول إيه؟

المعلم : يا أخي وأنت مالك .. انت جاى تشترى البيانو .. صح؟

الخواجة: صح ..

المعلم : خلاص .. شوف شغلك.. (الخواجه يلقى نظرة على الأوتار) .. طيب يا أم عنتر.

الخواجة: نعم ... حضرتك بتقول ايه؟

المعلم : شوف بقى يا خواجه.. أنت تشترى البيانو.. آه .. إنما تحشر نفسك في المسائل العائلية .. دا مش صح..

الخواجة: (مشدوهًا) إيه ده ؟ عنتر إيه .. ومسائل إيه؟
(وعمومًا .. يعيد الغطاء إلى مكانه) .. أنت عايز تبيعه بكام ؟

المعلم : شوف أنت حتشتريه بكام..

الخواجة: (مفكرًا) هم .. (يلقى نظرة إلى البيانو) هو .. الحقيقه مش قوى .. هو .. تقريبًا .. خرده ..

المعلم : (مستثارًا).. انت حتلبخ؟ ما تتكلم عدل أمّال..

الخواجة: إيه ده .. انت بتكلمنى إزاى؟ انت عايز تبيع البيانو؟

المعلم : (مقاطعًا) مش صح .. أم عنتر اللى عايزه تبيعه..

الخواجة: (يقع في حيرة كبيرة) .. مش فاهم .. تتطلع إيه أم عنتر دى؟ وعمومًا.. أنا حادفع ١٠٠ جنيه..

المعلم : (صارخًا) بتقول إيه؟

الخواجة: (مرتعبًا) .. صبرك، نتفاهم .. البيع أخذ وعطا .. صح؟

المعلم : أقل من ٣٠٠ جنيه لا يمكن أبيع..

الخواجة: نخليهم ١٥٠ جنيه.. (خلال انشغال الاثنين بالحديث يتجه نبيل إلى البيانو .. فيقف يتأمله في حزن)

المعلم : باقول لك أقل من ٣٠٠ جنيه ..

الزوجة : (تطل برأسها من وراء الباب متقاطعة) ما تبيع يا معلم..
(ثم تختفي)

المعلم : (في قمة غضبه) وعشان خاطر أم عنتر ب ٤٠٠ جنيه.

الخواجة: (في خوف شديد .. يلقى نظرة إلى الباب كأنما يهم بالفرار) اسمع يا معلم .. أم عنتر دى مش شغلي ..أنت قلت ٣٠٠ جنيه...وأنا حادفع ٣٠٠ جنيه.
(صمت)

المعلم : (مفكرًا) كنا عايزين نشيل قرشين زيادة للأستاذ ينفعوه لما يرجع .. إنما ياالله نصيبه كده .. يبقى له في ذمتى ٢٣٠ جنيه..

الخواجة: نعم حضرتك بتقول إيه؟

المعلم : وأنت مالك يا أخى .. ما تبقاش حشرى.. (نبيل يجلس على مقعد البيانو)..

الخواجة: طيب .. طيب .. خلاص ..

المعلم : إيدك على الفلوس ..

الخواجة: (يخرج حافظة نقوده) حضرتك بتعرف تكتب؟

المعلم : باعرف أمضى..

الخواجة: كفايه .. اتفضل .. آدى عشره .. صح .. (يناوله ورقة من فئة العشرة جنيهات ويستعد لإخراج الثانية .. غير أن " نبيل " يكون قد بدأ يعزف على البيانو لحنًا بسيطًا لأغنية شائعة فيجتذب انتباه المعلم .. الذي لا يصدق أذنيه .. فينسحب إلى البيانو شبه مذهول .. تاركًا يد الخواجة ممدودة بورقة البنكنوت.. يقف محدقًا في أصابع ابنه وهى تنتقل على مفاتيح البيانو .. وقد طفح وجهه بالسعادة .. نبيل يرفع وجهه إلى المعلم .. ويبتسم له .. المعلم يربت على كتفه في حرارة)

المعلم : (يشد قامته في امتداد) .. خواجة .. أنا مش حابيع البيانو .. وتتفلق أم عنتر.

الخواجة: (في ذهول) مش فاهم .. الراجل ده دماغه مش مضبوط.

المعلم : اتفضل فلوسك..

الخواجة: يا معلم .. إيه الحكايه .. فهمنى .. بدينى انا مالى دعوه بأم عنتر دي ..

المعلم : أنا مش بايع يا خواجه .. بشرفى ما أنا بايع .. خد فلوسك..

الخواجة: بس انت اديتنى كلمه.. وانت راجل تاجر .. صح؟ .. يبقى لازم تكون كلمتك واحده (صمت)

المعلم : (وقد أسقط في يده) الخواجه عنده حق .. وبعدين؟ (يفكر لحظة .. ثم يرفع رأسه فجأة فيحدق في صورته، وتلمع في ذهنه فكرة تنعشه) اسمع يا خواجه .. بصراحة ربنا ...يعنى أنا مش حابيع البيانو لوحده .. اللى يشترى البيانو .. لازم يشترى الصورة دى (يشير إلى صورته) قلت إيه؟

الخواجة: (في ذهول .. يلقى نظرة على الصورة فيصدم يتحول إلى المعلم في عصبية) انت راجل مجنون؟

المعلم : صح..

الخواجة: (ينتزع العشرة جنيهات من يده ويندفع خارجًا) وأنا كمان مجنون اللى جيت هنا

هنا... (قبل أن يختفي يتوقف ليوجه إلى المعلم نظرة قاسية) أم عنتر.. أخ .. (يخرج .. صمت .. المعلم يشد قامته .. يستدير إلى ابنه مع ابتسامة عريضة)

المعلم : واد يا نبيل .. اسمعنى يا واد .. ابتدى من أول .. الدوه .. (يلتصق بابنه .. ليتأمل أصابعه .. نبيل يعيد نفس اللحن البسيط.. وخلال انسحاب الضوء من على المسرح.. وبينما يستمر نبيل في العزف، يستمع إلى ذكريات الأستاذ... ثم لا يبقى إلا اللحن وشعاع ضوء على جانب من البيانو يستمر لحظات قبل الإظلام الكامل)

ســتار

محمود دياب